تأثير الفلسفة في السياسة هتلر نموذجا

-دراسة تحليلية لكتاب كفاحي-

L’influence de la philosophie sur la politique

The Influence philosophy on politics

د.نوال بورحلة [1] ، د.أمال موهوب [2]

[1.2] قسم الفلسفة، جامعة الجزائر2

تاريخ الاستلام : 18-10-2018 ؛ تاريخ المراجعة : 01-07-2019؛ تاريخ القبول : 30-09-2019

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تبيان تأثير الفلسفة على السياسة، حيث أنّ المشهد العالمي للأحداث يبين أنّ كثيرا من القادة السياسيين قد تأثروا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالسلب أو بالإيجاب بالأفكار العلمية والفلسفية لسبب جوهري هو تطبيق القوة و فرض السيطرة على العالم.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة،السياسة،هتلر،القوة.

Résumé :

Cet article a pour but de faire connaitre l’influence de la philosophie sur la politique ; car on voit que la majorité des politiciens ont trouvé dans les idées
philosophiques ou scientifiques un moyen pour exercer leurs lois dans le monde.

Mots clés : philosophie, politique, Hitler, force.

Abstract:

Can philosophy influence political leaders? That is to say; can it inspire them; either positively or negatively? These are some questions by means of which we try to focus on certain misinterpretation. Of philosophical ideas in some political leaders such as Hitler who was influenced by Darwinism.

Key words: philosophy, politic, Hitler.

تريد هذه المقالة تسليط الضوء على العنف والتطرف في العالم،وعكس ما هو معروف أو متداول عند عامة الناس أنّ العنف ناجم عن أسباب اقتصادية ونفسية واجتماعية، تحاول هذه الورقة التطرق إلى بعض النظريات العلمية والفلسفية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة التي كانت وراء نشر العنف والفوضى في العالم.

لقد كانت بعض النظريات ونذكر على وجه الخصوص النظرية التطورية **لداروين** ملهمة لبعض القادة السياسيين في إشعال نار الفتنة والعنف. والنتيجة المترتبة على ذلك الملايين من القتلى والمتشردين في العالم؛ فلقد تأثر بعض الساسة بالنظريات العلمية و الفكرية إلى حد كبير، وحاولوا تطبيق بعض تعاليمها، إلى حد التخلي عن كل القيم الإنسانية والأخلاقية وإلى حد تجاوز بعض النصوص الدينية أو القوانين العالمية من احترام الإنسان وحقوقه ، وحفظ كرامته وحقه في السلم. فمن هذه النظريات جسد القادة السياسيين فكرة العنف من خلال إمّا ما تدعو إليه أو تروّج له هذه النظريات العلمية والأفكار الفلسفية أو عن طريق سوء فهم هذه النظريات والأفكار الفلسفية جراء القراءات الخاطئة لها، الأمر الذي جعلها –النظريات والأفكار الفلسفية-تنحرف وتبتعد عن الفهم الحقيقي ، ممّا أدى إلى سوء تطبيقها على أرض الواقع.

وما هو جدير بالتنبيه إليه أن بعض النظريات العلمية و الفكرية قد تتعرض إلى سوء فهم وهذا من جراء القراءات الخاطئة مما يؤدي إلى تشويه مضمونها وهي بهذا المعنى فهي بريئة مما ينسب إليها من تهم،و لعل سوء الفهم ناجم -حسب اعتقادنا- إلى الأسباب التالية :

1.من الناحية النفسية: تعتبر هذه النظريات والأفكار الفلسفية بمثابة المتنفس لهؤلاء الساسة، فهي الحافز المعنوي المعبر عن الأمل وعلى طموح إلى تحقيق ما هو عائق و محضور؛ وبالتالي هي وسيلة تعبير وهي وسيلة إخراج المكبوتات النفسية ، نتيجة عوامل و ظروف عاشها السياسي في صغره نتيجة الحرمان أو القهر أو العنصرية وربما إلى عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية. وهذا ما يفسر تمسك هؤلاء الساسة بتلك النظريات العلمية و الفكرية إلى حد الهوس والجنون فتقع- تلك النظريات العلمية والفكرية- ضحية سوء الفهم.

2 .من الناحية العلمية: تعتبر هذه النظريات العلمية والأفكار الفلسفية الدعامة، والقوة، والحجة العلمية لتبرير مواقف السياسيين وما يقومون به من قرارات اقتصادية أو سياسية....فبحجة نشر ثقافة الصحة وتحسين ظروف المجتمعات أو البحث عن اكتشافات علمية جديدة كل هذا يعطي الحجة والدعامة للتدخل في شؤون البلدان الأخرى.

يبدو تأثر **هتلر** بالنظرية التطورية واضحا وهذا من خلال كتابه المسمّى **كفاحي** فقد استلهم **هتلر** من أفكار **داروين** فكرة البقاء للأقوى والصراع من أجل البقاء.على أساس أنّ ملخص فكرة **داروين** تتمثل في أنّ الطبيعة تختار الأهم والأقوى للبقاء على حساب الضعفاء وعلى الرغم من أن التكاثر يتم بمعدل كثير فإن الفراغ من أجل البقاء هو الذي يضمن لجزء فقط من هذا النسل البقاء. بينما يهلك الجزء الأخر نتيجة عدم القدرة على الاستمرارية، وقد أمضى **داروين** سنوات طويلة في البحث عن البيانات والحيوانات وعظامها،وانتهى إلى نظرية الانتخاب الطبيعي أو البقاء للأصلح فالكائنات من منظور **داروين** التي استطاعت أن تتكيف تلقائيا مع البيئة هي التي استمرت وعاشت وتكاثرت أما الكائنات التي فشلت في التوافق مع البيئة فقد ماتت وانقضت وما هو مفيد أن يذكر في هذا السياق أن داروين تأثر بالقس الإنجليزي **توماس ماتوس** الذي قال أن التكاثر يتزايد بمتوالية هندسية(2، 4 ، 8 ،16 ، 32) الخ أما الغذاء فإنه يتزايد بمتوالية عددية (2 ، 4 ، 6، 8 ، 10) مما يقود إلى الصراع من أجل البقاء ولذلك نادى **القس ماتوس** بقانون مفاده أنه لا يستحق البقاء إلى من هم أقدر على الإنتاج، أما أولئك الذين وهبتهم الطبيعة حظا أدنى هم أجدر بالهلاك والاختفاء، واعتبر القس **ماتوس** أنّ موت الضعفاء من الجوع قضاء وتدبير إلهي. و نتيجة أفكار **ماتوس** أوصت بعض الطبقات الحاكمة في أوروبا بإهمال الفقراء وتركهم فريسة للجوع والحرمان وبهذه الطريقة يتخلص منهم المجتمع، لقد أجبرت فكرة **ماتوس** الطبقة المتفوقة ماديا و إجتماعيا أيضا

على تشغيل الأطفال بين 8 و9 سنوات على العمل لمدة أكثر من ست ساعات يوميا في مناجم الفحم وفي ظروف صحية مزرية، الأمر الذي سبّب انتشار العنف واللاستقرار و شجع على الفوضى و السرقة.

تأثر **ردولف هتلر** بداروين في فكرة الصراع من أجل البقاء و استوحى منها أفكاره في كتابه **كفاحي**. لقد كان هتلر مقتنعا ومحبا في الوقت ذاته لفكرة البقاء للأصلح ، لأنّ الداروينية بالنسبة إلى **هتلر** كانت تقدّم التبرير الأخلاقي لعملية التعقيم الجماعي، والنقاء العرقي والمذابح الجماعية، حيث خلف **هتلر** من وراء هذه الفكرة ستون مليون قتيل؛ لقد أمن **هتلر** بفكرة التطور بعد أن يأس من فكرة السلام.و رأى أنّ الدعوة إلى السلام هو الذي قاد ألمانيا إلى الانحطاط ، لأن السلام في نظره يدعو إلى الخضوع و إلى الجبن و دليل على الضعف و الهزيمة، ويعتقد **هتلر** أن الذين يدعون إلى السلام هم من الحاقدين على ألمانيا ونجاحاتها وعلى رأسهم اليهود، الذين روّجوا لفكرة السلام يقول **هتلر** في كتابه **كفاحي** مايلي:

"إنّ التعلق بالسلام بهذا الشكل أقعد الساسة
الألمان عن الأخذ بفكرة التوسع في أوروبا، فقد
كانوا يعلمون أنّ هناك أرض يمكن الاستيلاء في الشرق عليها
و لكنهم أحجموا عن ذلك لأنهم يريدون السلام
بدلا من أن يضعوا نصب أعينهم توفير أسباب
البقاء ومقوماته للشعب الألماني بأي ثمن وكانت النتيجة
حرب عام 1914 – 1918 "[1]

إنّ الروح الإنهزامية التي أصبحت تمثل المحرك للشعب الألماني هي التي حركت فكر **هتلر** في النهوض ضد هذه المشكلة التي يتخبط فيها شعبه، إذ رأى أنه يجب قلب الأوضاع و إعادتها إلى مسارها الصحيح، و يقصد **هتلر** بالمسار الصحيح هو تعويض كلمة السلام بالحرب ،والضعف بالقوة

والاستكانة بالعنف يدل هذا على أنّ **هتلر** المتشبع بفكرة **داروين** المتمثلة في البقاء للأقوى،

يحاول تجاوز كل القيم الإنسانية والاعتبارات الأخلاقية في سبيل عودة ألمانيا إلى مصاف القوى العظمى و في هذا الصدد يقول:

"عندما نكافح من أجل كيانيا لا يبقى
هناك مجالا للاعتبارات الإنسانية
لأن هذه الاعتبارات هي من صنع
مخيلة الإنسان فمتى زال هو، زالت معه
اعتبارات الإنسانية لأنّ الطبيعة لاتعترف بها"[2]

إنّ ما يدعو إلى الغرابة والدهشة في توجه هتلر السياسي وطموحاته التوسعية أنّ التسامح والسلام من وجهة نظره هما قيمتان منافيتان للقوة والحرب وقد تعجب **هتلر** ممن يعتقد أنّ التسامح هو الذي يقود إلى العظمة إذ يرى أنّ من يتشبث بهذا المبدأ -التسامح- لا يفقه في السياسة شيء الأمر الذي يؤدي إلى إضعاف البلاد روحيا واقتصاديا وسياسيا؛ ونجد تأكيدا لهذا في قوله: " لقد زادت نقمتي على الأوضاع، وكنت أتساءل عن السبب الذي دعا المسؤولين إلى هذا التسامح بدلا من استعمال الشدة والعنف لتأديبهم"[3]

بناء على ما سبق ذكره رأى **هتلر** أنّ الوسيلة الوحيدة لعودة ألمانيا الى مصاف الدول العظمى هو التشبث بمبدأ القوة و فكرة الحرب، و قد زاد إيمان **هتلر** بهذه الفكرة بعد أن قرأ فكر **داروين**، و رأى **هتلر** مثلما رأى قبله **داروين** أنّ فرص البقاء لا تأتي إلا إذا توفر عنصر القوة المبنية على فكرة الصراع.والطبيعة تمنح هذه القوة لمن هو أقدر وأصلح على البقاء؛ فيقول **هتلر** في هذا السياق متشبعا بفكر **داروين**: "فالطبيعة لا تتعرف الى الحدود السياسية، و هي وضعت المخلوقات الحية على وجه البسيطة، و بدأت تراقب صراع القوى المختلفة و تنظر بعين العطف إلى من هو جدير بالحياة و البقاء"[4]

إنّ المطلّع على توّجه **هتلر** يلاحظ أنّه متطرف في أفكاره وقراراته إلى حدّ الخروج عن المعقول إلى اللامعقول في منظومته التوسعية العسكرية،وهذا يظهر في موقفه فهو لا يكتفي بالدعوة إلى الحرب والعنف و إنما ذهب أبعد من هذا - دائما تحت تأثير فكر **داروين**–الى إضعاف وقتل كل من لا يقدر على الظهور والبقاء لأنه في اعتقاده غير جدير بالحياة، و هو إن كان غير جدير بالحياة فهو يعرقل الطبيعة أكثر مما يقدمها؛ على هذا الأساس رأى **هتلر** مثلما رأى قبله **داروين** أنه لا يمكن للضعفاء الاستمرارية في البقاء فيقول:

"إنّ سنة الطبيعة تفسح مجال البقاء
للأقوى، أما الحد من التناسل فلا
يستبعد السلالات الضعيفة غير الجديرة
بالحياة، فتؤلف سلالة جديدة
أشد ضعفا، ممّا يشكل تحديا لسنة
الطبيعة، و لكن الطبيعة تثأر لنفسها من
هذا التحدي فتسلط الأقوياء الجديرين بالحياة
على الضعفاء الخاملين" [5]

و بناءا على ما سبق ذكره رأى **هتلر** بتأثير من **داروين** أنّ الطبيعة تختار الأقوى، ومنه فالدولة التي يرى **هتلر** من الواجب تأسيسها هي الدولة المبينة على القوة وعلى رجال أشداد جسديا ومعنويا. و نفهم من هذا أنّ **هتلر** لا يريد الضعفاء في دولته، و لا يريد أخلاق الضعفاء الذين يتمسكون بالعقل والقيم النبيلة الإنسانية التي هي دليلا على الضعف والخضوع. و عليه يرى أنّه من الواجب تصفيتهم لأنهم لا يضيفون إلى ألمانيا أية إضافة، بل ويذهب **هتلر** إلى أكثر من هذا إذ يحمّلهم تأخر ألمانيا عسكريا واقتصاديا، و أن تصفيتهم من الوجود هي خدمة اجتماعية و قيمة فضلى فيقول **هتلر**:

"يجب على الدولة العنصرية أن تنطلق من المبدأ التالي
الرجل السليم، القوي الإرادة، المقدام هو العضو
النافع للمجتمع، والرجل المحدود الثقافة أنفع من رجل
ذي عاهة مهما بلغت مواهبه العقلية"ويضيف قائلا:" كما أن شعبا
من العلماء الضعفاء جسديا، الضعفاء الإرادة المبشرين
بسلام مثبط للعزيمة.أن شعبا هذه صفاته يعجز حتى
على توفير ما يكفل بقاءه على هذه الأرض و في الجهاد
الذي يحتمه علينا القدر و إنّما الخاسر المهزوم هو الذي يستمد من معرفته
وعلومه قرارات غير مجدية بل بعيدة عن روح الرجولة وينقلها بطريقة تثير الشفقة". [6]

وفي تعظيمه وتمجيده للشعب الألماني يتأثر هتلر مرّة أخرى بداروين الذي يرى أنّ الطبيعة تختار الأهمّ والأقوى للبقاء على قيد الحياة ، لأنّ **هتلر** يرى أن الجنس الألماني هو أيضا أرقى السلالات وأقواها و بالتالي فهو الأجدر في البقاء على قيد الحياة.و إن كان يتمتع بالقوة فإنه بإمكانه إدارة العالم والتحكم فيه، وإخضاع كل الشعوب التي هي أدنى من مستواه. و باعتبار الشعب الألماني هو الجنس الأعلى فإنه بإمكانه إخضاع و بكل سهولة الجنس الأدنى فهو كما يعتقد **هتلر** الوحيد القابل للإدراك .

وممّا سبق ذكره نفهم أنّ فكرة التطور انتقلت لتصبح منهجا عند **هتلر** فأعلن عن فكرته النازية في الاستيلاء على سلالات بشرية ، و إعدام سلالات بشرية ضعيفة، لقد اتخذت النازية من الفكر الداروينى فكره الانتقاء الطبيعي والبقاء للأصلح مبررا للقضاء على بعض الأجناس البشرية ،و كانت وسيلة الانتقاء بالنسبة إلى **هتلر** هي الحروب لأنها تقضى على العناصر الضعيفة و تستبقي العنصر القوي [7] و لهذا يمكن أن تستمر الدولة وتستمر قوتها فيقول **هتلر** "لا يمكن أن تتصور حضارة قابلة للاستمرار دون وجود العرق المتفوق القادر على خلقها و دعمها " [8] ويواصل قائلا في تمجيد الجنس الألماني وتشجيعه على الحرب و العنف مايلي:

"و ليعلم المواطنون الاشتراكيون أنه متى اتحد عدد
من الرجال المتصفين بصفات العزم والقوة واضعين أمام أعينهم
هدفا معينا، فلن يلبث هؤلاء الرجال أن يمسكوا بزمام
القيادة، فالتاريخ صنعه النخبة هي الأقلية ففي كل مرة كانت
الأقلية العددية مجسدة للإرادة والجرأة "[9]

و نشير في هذا السياق أنّ إعلاء **هتلر** من الإنسان الألماني ومن قيمته على حساب كل الشعوب الأخرى هو تأثره بفكر **نيتشه** :'الإنسان السوبرمان'،ونذكر في هذا الإطار أنّه يفضل أخلاق الأقوياء –أخلاق السوبرمان-،إنّ لغة نيتشه تقول أنّ القوّة والشجاعة والثقة بالنفس وعدم التردد هي أساس الأخلاق وليس التعاون [10] ،ويواصل قوله في موضع أخر: " إنّ ما ينقصنا هو الرجل العظيم المركب الذي تخضع له كل القوى المتنافرة وما إلا الإنسان المتكثر الضعيف"[11] .الإنسان السوبرمان عند نيتشه هو الإنسان المقدام الذي لا يضع لنفسه قيودا مهما كان نوعها سياسية ،أخلاقية،دينية فهو الإنسان السوبرمان هو إنسان يعيش لنفسه وبإرادته هو.

لقد اقتنع **هتلر** بالإنسان المتفوق على أساس أن الرجل الألماني، هو الرجل المقدام الشجاع، القوي الذي لا يأبه بالعوائق التي تعترضه لاغيا من وجوده وفكره كل ما من شأنه أن يعيق تقدمه نحو النصر سواء كانت الأخلاق أو الدين أو القيم الإنسانية فيقول **هتلر** في هذا الإطار :"كل سلاح مهما كان منافيا للحياة اللاإنسانية يصبح وسيلة إنسانية مادام الغرض من استعماله هو الدفاع "[12].من هذا المنطلق الفكري فراح هتلر يشعل العالم كله من خلال الحرب العالمية الثانية وهو غارقا في أحلام العظمة، أحلام توسعية استعمارية.

الهوامش:

(1)- ادولف هتلر، **كفاحي**، دار الكتب الشعبية ،بيروت ، لبنان ،ص 19.

(2)- المصدر نفسه،ص28.

(3)- المصدر نفسه،ص27.

(4)- المصدر نفسه،ص16.

(5)- المصدر نفسه،ص 15.

(6)- المصدر نفسه،ص68.

(7)-المصدر نفسه،ص67.

(8)- المصدر نفسه،ص63.

(9)- المصدر نفسه،ص66

(10)-صفاء عبد السلام علي جعفر،**محاولة جديدة لقراءة فريدريك نيتشه**،دون طبعة،(دار المعرفة الجامعية،1999)ص،16.

(11)-فريديريك نيتشه،**أصل الأخلاق وفصلها**،تر:حسن قبيسي،دون طبعة،(لبنان:مجد للدراسات والنشر والتوزيع)،ص،32.

(12)- ادولف هتلر، **كفاحي**،ص 28.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

د.نوال بورحلة ، د.أمال موهوب **(2019) تأثير الفلسفة في السياسة هتلر نموذجا** -دراسة تحليلية لكتاب كفاحي-، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 11 (03)/ 2019 الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص.ص (32-38)